الوقف على الوافدين
وتعزيز المعرفة في الأزهر الشريف

أ.د. خالد فهمي (*)

(١) تاريخ عريق: تاريخ توظيف الأوقاف بما هي شريعة إسلامية ترعى التنمية والتقدم الحضاري -في خدمة الترقي العمراني والحضاري- عريق جدًا.

وقد رصد غير باحث في شئون الأوقاف هذا التاريخ، وفحص آثاره وعلاقته، وتوقف توقفًا حميدًا أمام مساهمته في تحقيق التقدم المعرفي.

ومن أشهر المعاصرين الذين تنبهوا إلى دور الأوقاف عمومًا، والأوقاف على الوافدين خصوصًا في تحقيق رسالة الأزهر الشريف في التقدم المعرفي والنهوض الإسلامي الدكتور إبراهيم البيومي غانم في كتاباته الفريدة عن الأوقاف والسياسة، وأوقاف أسرة محمد علي، والأوقاف والتعليم العالي وبناء مجتمع المعرفة.

يقول في كتابه: الأوقاف والتعليم العالي بناء مجتمع المعرفة (ص٢٠) :

«ورغم ارتباط الأزهر عند نشأته بشخصيات رسمية من رجال الحكم فإن تمويله اعتمد أساسًا على ريع الأوقاف التي حبست عليه».

(٢) والحقيقة أن فحص تاريخ إسهام الأوقاف في تعزيز دور الأزهر في الدعوة والمعرفة وعلاقة ذلك بالوافدين يقود إلى التنبه إلى أمرين:

أولًا: ظهور أثر الأوقاف في خدمة الوافدين من الأقاليم المصرية البعيدة عن العاصمة أو المركز سواء كانت هذه الأقاليم ضمن أعمال الصعيد أم الوجه البحري.

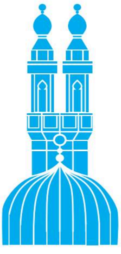
ثانيًا: ظهور أثر الأوقاف في خدمة الوافدين من البلدان العربية والإسلامية ومختلف بلدان العالم.

وقد انعكست هذه الرعاية الوقفية على هذين القطاعين من الوافدين في تسمية الأروقة التي خصصت لإقامة المنتمين لهذين القطاعين من الوافدين الدارسين في الأزهر الشريف، كما يلي:

أولًا: أروقة الوافدين من الأقاليم المصرية البعيدة عن القاهرة:

أ- الأروقة الصعيدية: رواق الصعايدة، يقول الدكتور رأفت الشيخ في كتابه دراسات في حضارة الأمة الإسلامية (ص٧٤): «ويسكنه طلاب العلم الوافدون من مديريات (محافظات)

(*) أستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفيه.

الصعيد من أهل الجيزة حتى أسوان».

ب- الأروقة الريفية: رواق الريافة، ويعرفه د. رأفت الشيخ فيقول:

«ويسكنه طلبة العلم الوافدون من الأرياف؛ أي من مدن وقرى الوجه البحري في مصر، ورواق الشراقوة من أبناء محافظة الشرقية».

ج- رواق ابن معمري، وهو مخصص للوافدين من الصحراء الغربية في مرسى مطروح والسلوم في مصر.

ثانيًا: رواق الوافدين من خارج الديار المصرية، وفي هذا القطاع أنواع كثيرة جدًا منها:

أ- أروقة الوافدين من أفريقيا، من مثل: - رواق الجبرت (من شمال الصومال).- رواق المغاربة (من طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش = المغرب). - رواق التكارنة (من بلاد التكرور في غرب إفريقيا والبلاد المجاورة لها).- رواق السنارية (من بلاد السودان).- رواق دارفور.- رواق برافو(من برقة وغرب إفريقيا).- رواق برنو (من تشاد).

ب- أروقة الوافدين من آسيا، من مثل:- رواق اليمن.- رواق السليمانية (العراق).- رواق البغادد (من بغداد).- رواق الجاوية (إندونسيا). - رواق أهل الحرمين (الحجاز). - رواق الهنود (الهند وباكستان وكشمير وبنجلاديش).

ج- أروقة أوربا من مثل: - رواق الأروام (الأناضول والبلقان). - رواق الأتراك.

(٣) والحقيقة أن تأمل توزيع هذه الأروقة وتقسيماتها يكشف عن حزمة من العلامات الحضارية والثقافية المهمة تتلخص فيما يلي:

أولًا: رعاية الفكرة الإسلامية للتمايز اللغوي والثقافي والحضاري لقطاعات الوافدين والحرص على التأليف بينهم، ومطاردة صور الغربة التي يمكن أن يشعروا بها، والعمل على حفظ تقاليدهم وأعرافهم بتيسير اجتماعهم عليها.

ثانيًا: رعاية الفكرة الإسلامية للتنوع العمراني، وهو التنوع الذي تجلى في عمارة هذه الأروقة، وطرق زخرفتها، مما جعل عمران الأزهر الشريف ومنطقته انعكاسًا لمفهوم الأمة الواحدة الكبيرة المتنوعة حضاريًا وعمرانيًا.

ثالثًا: رعاية الفكرة الإسلامية للتنوع الحضاري في مستوياته المادية في الملابس والثياب والأطعمة، والأشربة ونظام الإقامة وأثاث الأروقة ومقتنياتها المتنوعة، وهو ما يعكس عالمية الدين الإسلامي؛ تلك العالمية القائمة على احتواء التنوع واحترامه والترحيب به.

رابعًا: دعم نظم التعليم في الأزهر للقيم الوطنية المحلية، والقيم الحضارية المحلية التي يتمتع بها كل قطاع من قطاعات الوافدين للتعليم في هذه الجامعة العالمية العريقة.

إن دراسة أثر الأوقاف على الوافدين ممن وفدوا للتعليم في الأزهر الشريف يكشف عن الوعي الجمعي بوحدة الأمة من دون تفرقة على أساس مكان أو اللغة أو اللون بشكل عملي ممتاز من جانب، ويكشف عن الوعي الحضاري للشعب المصري الذي تجلى في خدمة الأزهر الشريف وتعزيز قيامه بالواجب الديني والحضاري نحو الأمة الإسلامية كلها.

***

